

مدخل إلى علم العقيدة الإسلامية

المفاهيم اللغوية والاصطلاحية:

العقيدة لغة: اصل المفهوم اللغوي لمصطلح العقيدة من مادة (عقد)، وقد قرر "ابن فارس" أن (العين والقاف والذال) أصل واحد يدل على شدّ وشدة ووثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها.

ومنه "عقد الزواج" و"عقد اليمين"، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]. وقال الزبيدي: أن أصل "العقد" نقيض "الحل".

علم العقيدة اصطلاحاً: وهو العلم الذي يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمقصود بها ما يُقصد به الاعتقاد واليقين الجازم.

مسميات علم العقيدة ومنطقاتها:

تعددت اصطلاحات العلماء في تسمية هذا العلم وفقاً لزوايا النظر المنهجية فاطلق عليه العلماء عدة أسماء منها مايلي:

١. **الفقه الأكبر:** اصطلاح الإمام "أبي حنيفة"، تعبيراً عن أن الفقه في الدين وأصوله أفضل وأكبر من الفقه في الأحكام (العبادات) أو ما يطلق عليه (الفروع).

٢. **علم التوحيد:** سُمي بذلك تشريفاً له بأهم مباحثه، وهو أفراد الله تعالى بالوحدانية في الوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

٣. **أصول الدين:** لكونه يتكفل ببيان الأصول الاعتقادية التي هي أساس الدين، وتتفرع عنها الأحكام الأخلاقية والسلوكية والعملية.

٤. **علم الكلام:** سُمي بذلك لكثرة الخوض في مسألة "كلام الله"، على اعتبار أن من المسلمين من أقر أن القرآن كلام غير مخلوق، وذهب بعضهم أنه كلام الله مخلوق؛ ولأن علم الكلام يورث قدرة على "الكلام" في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، فمثله كمثل علم المنطق للفلسفة.

أهمية العقيدة وآثارها في الوجود الإنساني

تطلق محورية أهمية العقيدة من أبعاد جوهريّة متباينة، نُجملها في المقاصد الآتية:

١. تحرير الإنسان : عتقه من العبودية لغير الله؛ ليعمر الأرض خليفةً لله بموجب قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: ٣٠] فيكون عبداً لله وحده.
٢. تحرير العقل من التقليد المذموم : حمايته من الآفات الذهنية كالتقليد الأعمى والأوهام، ودعوته للنظر والاستدلال، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله: ﴿رَمَّا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].
٣. الانضباط بمقتضيات الوحي : الالتزام التام بالأوامر والنواهي الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].
٤. تربية الضمير اليقظ : استشعار الرقابة الإلهية المطلقة، عملاً بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].
٥. تهذيب السلوك : العقيدة الراسخة تُنتج خلقاً رفيعاً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وتنتج التواضع قال تعالى: ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [النمل: ١٨].